

يكون مؤمناً ذاكراً لله - عز وجل -، ناصحاً لنفسه ولإخوانه المسلمين يكون قد تربي في الحج على العبادة، وعلى الطاعة، وعلى كف اللسان، وعلى محبة الخير، ومحبة المسلمين، يكون الحج منطلقاً ومدخلاً له إلى الخير ومدرّباً له على الطاعة، إلى أن يلتقى ربه - عز وجل - . ثم ينبغي للحجاج أن يلازم تقوى الله - عز وجل -، فلا يكون مطيعاً في وقت الحج فقط، وإنما يلازم طاعة الله في كل حياته وفي منصرفه من الحج، وإذا ذهب إلى أهل بلده يقبل عليهم بالخير والنصيحة والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيقدم على بلده وأهله خير مقدم يعلمهم ويذكرهم، يرجع وقد لأن قلبه وصلحت أعماله، وتاب إلى الله - عز وجل -، فيلازم عبادة الله والمحافظة على الصلوات الخمس، وأداء الفرائض، لأن بعض الناس إنما يقبل على الله في موسم الحج فقط، ويظن أن الحج يكفر عنه كل ما فعل ويفعل، نعم الحج يكفر الله به الخطايا، ولكن إذا استمر الإنسان على طاعة الله، أما إذا رجع للمعاصي والذنوب بعد الحج فهذا يفسد حجه، لأنه لا دين لمن لا صلاة له ولا تقبل الأعمال مع إضاعة الصلاة، لكن الذي يرجي له الخير هو الذي استمر على طاعة الله، وداوم عليها إلى الممات، هذا هو الذي يرجي له الخير والثواب وقبول الحج، وسائر الأعمال، أما من يحج ثم إذا رجع ضيع دينه وضيع صلاته وضيع طاعة الله - عز وجل - ويظن أن الحج يكفي، هذا غرور وخداع من الشيطان ومن النفس الأمارة بالسوء، فيتبع الحسنة بالحسنة ولا يتبع الحسنة بالسيئة، فإن هذا من الخسارة، وهذا كالذي يبني البنيان فإذا أقامه هدمه، الله - جل وعلا - يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَفْضَتْ غَزْلُهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَثَتْ﴾ [النحل: ٩٢]. فلا تغزل ثم تنقض، ولا تبني ثم تهدم، بل واصل البناء وواصل العمل الصالح، والله - جل وعلا - يقول: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]. اليقين يعني: الموت وليس لعمل المسلم غاية دون الموت.

فعلينا جميعاً التواصي بالحق والتواصي بالصبر على طاعة الله - عز وجل -،

والتناصح والتعاون على البر والتقوى، وأن يكون هذا الحج منطلقاً لنا إلى الخير،
ويكون هذا الحج مبدأ خير ومنهاً لنا لاستدراك بقية حياتنا لطاعة الله - عز وجل -،
حتى نحظى بحسن الخاتمة والوفاء على الإسلام.
وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وأصحابه أجمعين.



٢٦ - درس في الوصية بالتمسك بالإسلام

بعد الحج إلى الممات

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

في هذا اليوم^(١)، من أراد أن يتعجل فإنه يرمي الجمرات الثلاث، ويخرج من منى قبل غروب الشمس، ويكون بهذا قد أنهى حجه، ومن أراد أن يتأخر ويبقى في منى يبيت فيها هذه الليلة ويقيم فيها صباح الغد^(٢)، ثم يرمي بعد الظهر فيكون قد استكمل أيام التشريق وتأخر.

والله جل وعلا يقول: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: ٢٠٣]. التأخر أفضل وهو الذي فعله النبي ﷺ. فإنه تأخر ونفر في اليوم الثالث عشر.

ولكن على الجميع من تعجل ومن تأخر، أن يختم بالاستغفار والتوبة إلى الله - سبحانه وتعالى -، وأن يواصل الطاعة والعبادة بعد الحج إلى آخر عمره وتأخر أيامه، إلى أن توافيه منيته وهو مستقيم على طاعة الله - عز وجل -، ولا يقتصر على الحج، ويظن أنه يكفي، ويضيع بقية أركان الإسلام، إنما الحج الركن الخامس من أركان الإسلام، وقبله أربعة أركان، عليه أن يحققها، وكذلك الإسلام هو مجموع الطاعات التي أمر الله بها، وأمر بها رسوله ﷺ ومجموع المنهيات التي نهى الله عنها ورسوله فيتجنبها.

هذا هو الإسلام، وليس الإسلام أنه يأخذ بعضها ويترك البعض الآخر، يأخذ

(١) أي اليوم الثاني عشر.

(٢) أي اليوم الثالث عشر.

الحج ويترك الباقي، هذا ليس له حج، الدين كله لله عز وجل ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا آدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

السلم معناه: الإسلام، أي خذوه جميعاً، ولا تأخذوا بعضه وتركوا بعضه،
فعلينا أن نتذكر هذا، أن الحج إنما هو ركن من أركان الإسلام، وقبله أركان أربعة،
وهناك أوامر ونواهي يمثلها المسلم ويداوم على طاعة الله وعبادته إلى آخر حياته،
فالمسلم مادام في هذه الدنيا فهو مكلف بطاعة الله ومأمور بها ومنهي عن المعاصي،
وليس في أيام الحج فقط، وإنما في جميع أيامه التي كتبها الله له في هذه الدنيا.

فعلينا جميعاً وعلى جميع المسلمين الحاجاج وغيرهم التمسك بطاعة الله،
وبالإسلام شريعة وعقيدة وعبادة وأخلاقاً ومعاملةً، ومن جميع النواحي، فإنه دين
كامل كما قال الله جل وعلا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. فهو دين
كامل وشامل، فلا يأخذ بعضه ويترك البعض الآخر وهو يستطيع، بل يأخذ الإسلام
كله ويأتي منه ما يستطيع والذي لا يستطيعه ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾
[البقرة: ٢٨٦].

هذا وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه
أجمعين.



٢٧- درس في منافع الحج

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الله - سبحانه وتعالى - علل تشريع الحج فقال: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨]. فالحج فيه منافع عظيمة، والله - جل وعلا - لم يحددها لأنها كثيرة، والناس يختلفون في تحصيل هذه المنافع، فمنهم من لا يحصل من هذه المنافع على شيء، ومنهم من يحصل على منافع كثيرة، ومنهم من يحصل على منافع قليلة. فهذا الحج عبادة عظيمة فيها منافع يمتاز بها عن سائر العبادات، مع أن العبادات كلها فيها منافع، ولكن الحج بالذات منافعه أكثر؛ لأنه العبادة التي يجتمع لها العالم الإسلامي من أقطار الأرض في مكان واحد، ويؤدون مناسك واحدة تجمعهم، ويتزبون بزى واحد وهو الإحرم، ويتساوون في المنازل في عرفة وفي مزدلفة وفي منى، لا فضل لهذا على هذا.

ولأنهم في مسجد واحد وهو مكان المناسك، والله - جل وعلا - جعل المسجد الحرام للناس سواء العاكف فيه والباد، وتوعد من يؤذي الناس فيه أو يمنعه من بعض مناسك الحج أو أمكنته، بأن الله يذيقه عذاباً أليماً، مما يدل على أن هذا الحج فيه منافع عظيمة ومنها:

أولاً: اتحاد جماعة المسلمين من أقطار الأرض، وتعاونهم فيما بينهم وتآلفهم فيما بينهم، وتبادل العلم والفقهاء فيما بينهم، وذلك بالسؤال والتلقي من العلماء، ويرجع الحاج متفقاً في دينه متبصراً في عقيدته؛ لأنه يتعلم من الحج، يتعلم العقيدة، يتعلم أداء العبادات، الصلاة وغيرها، فهو يصلي في هذه المشاعر في المسجد الحرام مع إخوانه المسلمين، ويرى كيف يؤدي المسلم الصلاة خالية من البدع

والشركيات، صلاة خالصة لله - عز وجل -، فإذا ذهب إلى بلدة استمر على أداء هذه الصلاة على الصفة التي رأى عليها المسلمين في هذه المشاعر، ويحافظ عليها؛ لأنه رأى المسلمين يحافظون عليها في أوقاتها، فيتعلم الاهتمام بالصلاة بعد الاهتمام بالعقيدة، لأنه حينما يلبي يقول: «لييك لا شريك لك»، هذا نفي للشرك؛ لأن الله ليس له شريك في عبادته كما أنه ليس له شريك في ربوبيته وملكه، وليس له شريك في أسمائه وصفاته، فهو يتعلم العقيدة ويصرح بذلك، بأن الله لا شريك له، فيتعلم أن الشرك باطل وأنه منفي وأن المسلم يتبرأ منه من أول كلمة يقولها حينما يحرم: «لييك لا شريك لك، إن الحمد والنعمة لك لا شريك لك»، ثم يتعلم الصلاة والمحافظة عليها، ثم يتعلم الإكثار من ذكر الله بالتهليل والتكبير والتحميد، ويتعلم أن هذه المناسك إنما هي تربية للمسلم، وتصحيح لأخطائه وسلوكه، أو زيادة في علمه وتبصره، ولو بقي في بلده وبقي كل مسلم في بلده ولم يحصل هذا اللقاء لبقى الجاهل في جهله، وبقي الذي عنده سوء اعتقاد على سوء عقيدته، فهذا من حكمة الله أن المسلمين يلتقون فيتعلمون أمور دينهم عملياً، ثم يرجعون وقد تعلموا، وتعلموا أيضاً المحبة بين إخوانهم المسلمين، أن المسلم أخو المسلم فيزول ما كان من الفرقة والاختلاف، فيزول ما كان من جهل بعضهم لبعض، أو عدم معرفة بعضهم لبعض، فهذا من منافع الحج.

ثانياً: أن المسلم يستفيد من ناحية دنياه من بيع وشراء، يقدم بسلع ويبيعها ويشتري قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رِّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]. المراد بذلك: البيع والشراء أو التأجير، يؤجر نفسه للعمل أو يؤجر سيارته، فهذا من طلب فضل الله وهو الرزق، ليستعين بذلك على طاعة الله، ويستفيد من ذلك أيضاً طلب الرزق من الوجهة الحلال، وعدم الغش وعدم الكذب في معاملته، يستفيد كذلك العطف على إخوانه المحتاجين والضعفاء والمساكين، يستفيد كذلك الرحمة بالمرضى والضعفة والمساكين وكبار السن، لأنهم إخوانه وآباؤه وأبناؤه، وهو عضو

من هذا المجتمع الإسلامي الكبير كما قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»^(١)، وقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه»^(٢).

فيستفيد المسلم من هذا الحج العطف والرحمة على إخوانه الضعفة في أبدانهم والضعفة في أموالهم.

كذلك يستفيد المسلم من هذا الحج التواضع لله - عز وجل -؛ لأنه إذا رأى الملوك والرؤساء والأثرياء والتجار، كلهم يشاركون إخوانهم المسلمين، لا ميزة لهذا على هذا، يشاركونهم الوقوف بعرفة والمبيت بالمزدلفة وفي منى ورمي الجمار والطواف والسعي بين الصفا والمروة، لا فرق بين هذا وهذا حتى في الزي، فيتعلم من ذلك عن الإسلام ومساواته، فهم في الظاهر سواء في أداء العبادات في أوقاتها وصفتها، وإنما كلهم سواء أمام الله كلهم فقراء إلى الله - عز وجل -.

ويستفيد من هذا أن الإسلام دين العدل والمساواة، أنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، فهم من حيث الظاهر سواء، وهذا هو المقصود في أن المسلم يعرف عدل الإسلام، وأن الإسلام جاء للتسوية بين المسلمين، أما من حيث الباطن والقلوب فهم يتفاوتون، وهذا شيء لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ﴾ [الحجرات: ١٣].

فالخلاصة أن المنافع التي في الحج ليس لها حد محدود والناس يتفاوتون في تحصيلها وفي كثرتها وقلتها.

ومن أعظم منافع الحج، أن الحاج - يرجع إذا كان حجه خالياً من الرفث والفسوق - كيوم ولدته أمه، قال ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠١١)، ومسلم برقم (٢٥٨٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٠٢٦).

ولدت أمه»^(١)، ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]. يتعلم المسلم حسن السلوك مع الناس، كمال قال ﷺ: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»^(٢)، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

ومن منافع الحج أن المسلم يتحمل المشاق، لأن الحج فيه مشاق من بعد المسافة وطول المدة، وترك البلد وترك الأولاد والأحباب، وفيه الزحام الشديد، وقد يكون الوقت حاراً، ويترك المسلم الرفاهية التي كان يعيشها، ويتربى على القوة وعلى التواضع وعلى التحمل.

الحاصل أن دروس الحج وفوائد الحج ومنافع الحج لا حصر لها، ولا يعلمها إلا الله - سبحانه وتعالى -.

هذا ونسأل الله لنا ولكم ولسائر المسلمين خصوصاً الحجاج والمعتمرين، القبول والمغفرة والثبات على الحق، والصبر على التمسك بالدين إلى أن نلتقى الله - عز وجل -.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



(١) أخرجه البخاري برقم (١٨١٩، ١٨٢٠)، ومسلم برقم (١٣٥٠).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (١٩٨٧)، وأحمد برقم (٢١٣٥٤، ٢١٤٠٣، ٢١٥٣٦)، والحاكم (١/٥٤)، والدارمي (٢/٣٢٣).

٢٨- درس في تفسير قوله تعالى:

﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد:

فإن هذا اليوم هو اليوم الثاني عشر من ذي الحجة، وهو اليوم الثاني من أيام التشريق وهو يوم النفر الأول قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. تعجل معناه: أنه رمى الجمار الثلاث فيما بين دخول وقت الظهر إلى غروب الشمس، من رمى الجمار الثلاث في هذا الوقت الممتد من زوال الشمس إلى غروبها، ورحل من منى قبل غروب الشمس، فإنه قد تعجل في يومين ولا إثم عليه، أي: لا جناح ولا حرج عليه في ذلك ويكون قد أكمل حجه بهذين الشرطين:

الشرط الأول: أن يرمي الجمار بعد الظهر أو بعد العصر.

الشرط الثاني: أن يرحل من منى قبل أن تغرب عليه الشمس، وأما من غربت عليه الشمس وهو لم يرم أو رمى لكنه لم يرحل، فإنه يتعين عليه أن يتأخر، بمعنى أنه يبيت إلى ليلة الثالث عشر، إلى أن يرمي الجمار بعد الظهر في اليوم الثالث عشر، ثم ينفر ويرحل من منى، وهذا هو التأخر وهو أفضل من التعجل، وهو الذي فعله الرسول ﷺ والرسول ﷺ أخذ بالأفضل، ومن تعجل فقد أخذ بالرخصة، ولا حرج عليه، ولكن ينبغي أن نعلم أنه إذا غربت الشمس في اليوم الثالث عشر فإن وقت الرمي ينقضي، وإذا غربت فقد انتهى وقت الرمي، ثم بعد ذلك لا عليك أن تبيت ليلة الرابع عشر أو ترحل، فالمبيت في هذه الليلة وما بعدها مباح وليس لك فيه أجر، كما لو بت في أي مكان لأن مناسك الحج انتهت.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ ليس المهم أنك تتعجل أو تتأخر، المهم تقوى الله - سبحانه وتعالى -، أن تخاف من الله وأن تكمل المناسك على الوجه الذي أمرك الله به، وأن تخلص النية لله - عز وجل -، هذا هو المعبر.

والتقوى: هي فعل أوامر الله وترك ما نهى الله عنه، والاستقامة على دين الله، سمي ذلك بالتقوى من الوقاية لأن هذا يقيك من عذاب الله ومن غضب الله - سبحانه وتعالى -، فالتقوى هي فعل ما أمر الله - تعالى - به وترك ما نهى الله - تعالى - عنه، طاعة لله وامثالاً لأمره ونهيه، فمن فعل ذلك فقد وقى نفسه من عذاب الله - عز وجل -.

ثم قال - عز وجل -، مؤكداً هذا المعنى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، كرر الأمر بالتقوى في هذا الموضع، وفي غيره من القرآن الكريم، ويبين الله ما للمتقين من جزيل الثواب والأجر عنده، لأن المطلوب من العبادة هو تقوى الله - سبحانه وتعالى - من العباد، في جميع أمورهم، وفي عباداتهم وعاداتهم ومعاملاتهم، وفي جميع شؤونهم، أن يراقبوا الله - جل وعلا - ويتقوه فلا يتركون واجباً ولا يفعلون محرماً.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ اعلموا: تيقنوا أنكم إلى الله - جل وعلا - تحشرون، تجمعون بعد الموت في صعيد واحد الأولون والآخرون لا يتخلف أحد قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ﴿٤٧﴾ [الكهف: ٤٧].

يقومون من قبورهم أحياء بعد أن تنبت أجسامهم وتكامل أعضاؤهم، ثم ينفخ إسرافيل في الصور، وهو القرن الذي فيه الأرواح، ثم تطير الأرواح كل روح إلى جسدها ثم يسيرون إلى المحشر قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ [الزمر: ٤٨].

ويسيرون إلى المحشر لا يتخلف منهم أحد، أو يهرب أحد، أو يند أحد من الناس، أو يختفي، بل يسيرون إلى المحشر حافية أقدامهم شاخصة أبصارهم من شدة الهول، عراة ليس عليهم لباس، غرلاً يعني: غير مختونين تعود خلقتهم كما

كانت، يسرون إلى المحشر ويقفون في صعيد القيامة بين يدي الله - جل وعلا -
يتظرون الحساب.

والمناسبة في قوله ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ في ختام أعمال الحج،
أن الحجاج يتذكرون في اجتماعهم في هذا المكان في مشاعر الحج في عرفة، في
مزدلفة، في منى، يجتمعون في هذه المشاعر على اختلاف أجناسهم ولغاتهم،
واختلاف بلادهم، يتذكرون الجمع العظيم الذي هو الحشر، لأن الشيء بالشيء
يذكر، يتذكر أهل الحج أنهم سيجتمعون في يوم القيامة اجتماعاً يشبه اجتماعهم
بالحج، فيستعدون لهذا الاجتماع الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله
بقلب سليم، يستعدون لهذا الاجتماع، ويتذكرون في تفرقهم من هذا الاجتماع في
الحج إلى بلادهم، يتذكرون تفرقهم إلى مقرهم الأخير، مقرهم الذي لا يرحلون
منه أبداً وهو الجنة أو النار، ينصرفون من المحشر بعضهم ينصرف إلى الجنة وبعضهم
ينصرف إلى النار ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ ﴿١٥﴾ [الشورى: ١٧]. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ
السَّاعَةُ يُنْفَخُونَ نُفُوسًا وَكُفْرًا وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي
الْعَذَابِ مُخَصَّرُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [الروم: ١٤ - ١٦].

يتذكر الحجاج بتفرقهم هذا إلى بلادهم، تفرقهم من مجمع الحشر، إلى منازلهم
التي كتب الله لهم الخلود فيها، إما في جنة وإما في نار، فيستعدون.

وإن كنتم وجدتم مشقة في الحج وتعباً في الحج فاعلموا أن المشقة والتعب في
الحشر أشد من هذا، فعليكم بالاستعداد والتأهب للقاء الله - سبحانه وتعالى -.

وكذلك على الحجاج أن يشكروا الله الذي أكمل لهم مناسكهم، وأتم حجهم،
يشكرون الله على هذه النعمة، وعليهم ألا يرجعوا إلى الذنوب والمعاصي بعد أن
كفرها الله عنهم في هذا الحج، وعادوا مغفوراً لهم كيوم ولدتهم أمهاتهم، عليهم
أن يحتفظوا بهذه النعمة وهذه النظافة التي نظفهم الله بها من سيئاتهم، أن يرجعوا

إلى أهلهم في حال أحسن من حالهم التي قبل الحج، تائبين إلى الله مقيمين على طاعته، لا يصدر منهم ما يفسد هذا الحج من الشرك بالله - عز وجل - ودعاء غير الله، وعبادة الأموات بالقبور، والتعلق بالأولياء والصالحين، هذا يفسد حجهم وأعمالهم بل عليهم أن يستمروا على التوحيد.

أنتم رأيتم أن هذا الحج - والله الحمد - كله توحيد، ليس فيه دعاء لغير الله، ليس فيه قبور وأضرحة يذهب الناس إليها، وإنما يذهبون إلى مشاعر الله، يذهبون إلى منى، إلى عرفة، إلى مزدلفة، إلى المسجد الحرام، يطوفون ويسعون ولا يأتي على ألسنتهم ذكر لغير الله - جل وعلا -، يذكرون الله ويوحدونه، رأيتم هذا، هذا هو التوحيد، أما من ينصرفون إلى القبور والأضرحة ودعاء غير الله، فهؤلاء لا قيمة لحجهم، ولا أثر لتعبهم ولا فائدة يجنونها إلا التعب، فعلينا جميعاً أن نستمر على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، ومن كان مبتلياً أو مقلداً في دعاء غير الله والاستغاثة بغير الله، فعليه أن يتوب إلى الله، ومن تاب تاب الله عليه.

كذلك كثير من الناس يتهاونون بالصلاة، أو يصلون صلاة غير الصلاة التي أمر الله بها، يصلون في غير الوقت، يصلون متفرقين، يتركون صلاة الجماعة، وترك الصلاة كفر بالله - عز وجل -، والتهاون بوقتها أو بالجماعة نفاق، فلا يتهاون بالصلاة أو يؤخرها عن وقتها إلا أهل النفاق، فالمتهاونون بأمر الصلاة بين نوعين إما كافر وإما منافق، والكافر والمنافق في النار قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: 140].

فعلى المسلم أن يرجع بتوبة خالصة لله - عز وجل -، يرجع بعقيدة صحيحة صافية، يرجع بتوبة من الذنوب والمعاصي، يحسن عمله في بقية حياته، ليكون هذا الحج منبهاً له ومنطلقاً له إلى فعل الخير، ولا يقول: أنا حججت وغفرت ذنوبي، ثم يتهاون بالمعاصي، فإن حجه يختل بهذه الذنوب وهذه المعاصي، لا يبقى له فيه أجر، الإنسان إذا حصل على مال فإنه يحافظ عليه ولا يضيعه، وأهم من ذلك إذا

حصل على المغفرة والعتق من النار، فلا يضيع هذه الميزة العظيمة والمكسب العظيم، فيحافظ عليه بتوحيد الله، بالمحافظة على فرائض الله، بترك ما حرم الله - عز وجل -، استقم على دين الله إلى أن يتوفاك الله. قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

استمر على عبادة الله حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك، لا تقف عند حد، وتقول حججت وغفرت ذنوبي، ولا عليّ بعد ذلك أن أعمل ما أشاء لأنه مغفور لي، المغفرة إنما تكون لأهل الإيمان وأهل الاستقامة وأهل التمسك بدين الله - عز وجل -، ولا تكون المغفرة لمن ضيع دينه، إلا إذا تاب إلى الله واستغفر الله وتاب فإن الله يتوب عليه، لا نقول إن الإنسان يرجع من حجه معصوماً من الذنوب، الإنسان بشر يقع في الذنوب لكن عليه التوبة، فمن تاب تاب الله عليه، وباب التوبة مفتوح لمن تاب إلى الله - عز وجل -، وحافظ على طاعة الله واستقام على دين الله وتوفاه الله على عمل صالح، وعلى عقيدة صحيحة فهذا هو السعيد، وحسن الخاتمة لها أسباب، أن يدعو الله بحسن الخاتمة، وأن يستمر على الأعمال الصالحة حتى يأتي الموت، وهو على طاعة الله - عز وجل - مبتعداً عن معصية الله، فيلحق بالصالحين، ويكون من الفائزين في جنات النعيم.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



٢٩- درس في بيان أحكام التعجل، وإخلاص العمل لله

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فهذا هو اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة، وهو ثاني أيام التشريق ويوم النفر الأول، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. واليومان هما اليوم الحادي عشر والثاني عشر، ومن تأخر يعني: إلى اليوم الثالث عشر، فلا إثم عليه، فالنفر في هذا اليوم يسمى بالتعجل، ويسمى بالنفر الأول، والنفر في اليوم الثالث عشر يسمى بالتأخر ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ والتأخر أفضل وهو الذي فعله النبي ﷺ لكن الله - جل وعلا - رخص بالنفر الأول تيسيراً على العباد وتخفيفاً عنهم؛ لأنهم لو بقوا ونفروا في يوم واحد لحصلت مشقة وضيق وزحام، لاسيما مع تكاثر عدد الحجاج، والله - جل وعلا - حكيم عليم، ولكن من أراد أن ينفر اليوم ويتعجل فلا بد أن يتأخر إلى الظهر، فإذا زالت الشمس ودخل وقت الظهر فإنه يرمي الجمرات الثلاث الصغرى ثم الوسطى ثم الكبرى، أو يرميها بعد العصر، أو فيما بين ذلك، ويخرج من منى قبل غروب الشمس، هذا هو التعجل، أما إن غربت عليه الشمس ولم يرم، أو رحل من منى وهو لم يرم، فإنه لا يجوز له التعجل، بل يجب عليه المبيت ليلة الثالث عشر، والرمي في اليوم الثالث عشر بعد الظهر، وهذه نهاية الأيام المحدودات.

ثم أيضاً أيها الإخوة الواجب على المسلم أن يتقن العمل وأن يتممه وأن يحسنه، حتى يكون مقبولاً عند الله - عز وجل -، قال الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]. فلا يكون الحج ناقصاً بل يكون تاماً بمناسكه، وإذا حصل من

الإنسان مخالفة في ترك واجب أو فعل محظور فإنه يتم ذلك بفدية الجبران سميت جبراناً، لأنها تحجب النقص الذي حصل، وهذا من إتمام الحج، فإذا حصل من الإنسان نقص في حجه بفعل محظور من محظورات الإحرام، أو بترك واجب من واجبات الحج فعليه أن يجبر ذلك بالفدية، ولا يترك هذا النقص بدون جبران، ثم أيضاً إذا وفقه الله وأتم حجه، فإنه يتبع ذلك بالاستغفار والله - جل وعلا - يقول: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩-٢٠٠]. فيكثر الإنسان من الاستغفار بعد نهاية المناسك، ويكثر من ذكر الله - عز وجل - وشكره والثناء عليه وتعظيمه، فإن العبادة تتبع بالشكر وتتبع بالحمد والثناء، وتتبع بذكر الله وبالاستغفار؛ لأن الاستغفار يجبر ما يحصل من النقص، قد يكون هناك نقص لا يشعر به الإنسان وغفلة منه، فيتدارك ذلك بالاستغفار، هذا هو شأن المسلم، أيضاً يخاف الإنسان من عدم القبول فيسأل الله القبول، ولا يعجب بحجه، لأنه لا يدري لعله لم يقبل، لعله حصل فيه خلل، أو حصل فيه شيء من الرياء، أو من السمعة أو من التقصير، فيكون عمله مردوداً، والله - جل وعلا - يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٧]. وكان السلف الصالح يعملون العمل ويجتهدون فيه ثم يصيبهم الهم، هل يقبل منهم أم لم يقبل، وهذا مذكور في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. قالت عائشة - رضي الله عنها - للنبي ﷺ: «يا رسول الله أهم الذين يزنون ويسرقون ويخافون أن يعذبوا؟ قال: «لا يا بنة الصديق، ولكنهم قوم يعملون الأعمال الصالحة ويخافون أن ترد عليهم»^(١)، فإذا كان هذا شأن الذين يعملون الأعمال الصالحة يصيبهم الوجل والخوف من الله - عز وجل - ولا يعجبون بأعمالهم ويخافون أن ترد عليهم، فكيف بالذي يعمل

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣١٧٥)، وأحمد برقم (٢٥٢٦٣، ٢٥٧٠٥)، وابن ماجه برقم (٤١٩٨).

السيئات والذنوب ولا يخاف .

الواجب علينا جميعاً أن نخاف من أن ترد علينا أعمالنا ولنا ذنوب نستغفر الله منها، وعندنا تقصير في أداء العبادة نستغفر الله منه، هذا هو شأن المسلم، أنه يعقب العبادة بالاستغفار، ويعقبها بالتوبة، ويعقبها بذكر الله - عز وجل -، ويتبع الطاعة بالطاعة ويواصل العمل بالعمل، ولا يفتر عن ذكر الله وعن طاعته . هذا شأن المسلم دائماً هو في عمل صالح، ودائماً في استغفار وتوبة، ودائماً في خوف من الله - عز وجل - مع رجاء ثوابه - سبحانه وتعالى -، يخاف ويرجو، هذا شأن المسلم .

فالسذّي يقتصر على الخوف دون الرجاء هذا قانظ من رحمة الله، والذي يقتصر على الرجاء دون الخوف هذا آمن من مكر الله، فالمسلم يجمع بين الخوف والرجاء، كما هو شأن الأنبياء والصالحين، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً، خوفاً من عقاب الله وطمعاً في ثواب الله - عز وجل -، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] . هذا شأن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، يخافون الله - جل وعلا - ويرهبون منه ويرجون ما عنده فيجمعون بين الأمرين، وهذا شأن المسلم .

ثم المسلم إذا أنهى حجه وسافر إلى بلده، فإنه يواصل العمل الصالح، ويواصل الطاعات، ويداوم عليها، ويحافظ على أعماله الصالحة في كل مكان ولا يقول: إنه حَجٌّ وَغُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ ثُمَّ يَقْصُرُ وَيَتَكَاثِلُ عَنِ الطَّاعَةِ، أو يطلق لنفسه العنان فيتمادى في الذنوب ويقول: إن الحج يكفي فيتبع الحج بالسيئات والأعمال الفاسدة، هذا شأن الخاسرين المغرورين نسأل الله العافية .

الله - جل وعلا - يقول: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: ٢٠٣] . أي: اتقى الله - سبحانه وتعالى -، وحافظ على طاعته، وتجنب معاصيه، هذا هو المتقي، قال - تعالى - بعد آيات الحج: ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [٢٣٩]

[البقرة: ٢٠٣].

فيجازيكم بأعمالكم، استعدادوا لهذا الحشر وهذا الجمع يوم القيامة، استعدادوا لذلك تذكروا الحشر والحساب والجزاء، فاستعدوا لذلك ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٦]. الذي انصرف من الحج وهذا شأنه، سعى في الأرض ليفسد

فيها ويهلك الحرث والنسل، يتعدى على الناس، ويتلف أموالهم ويغصبها منهم، ويستولى عليها ظلماً وعدواناً، أو يكثر من الذنوب والسيئات، فيحصل بذلك تأثير على الأرزاق والمحاصيل؛ لأن الذنوب تجلب العقوبات، وليست عقوبات خاصة به بل تكون عامة، يمنع الله بسببها المطر من السماء، ويمنع النبات بسبب الذنوب والمعاصي ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]. ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ الله - جل وعلا - يبغض الفساد والكفر والمعاصي، ويحب الطاعات والعمل الصالح، ويرضى بذلك؛ لأنه - سبحانه - رحيم بعبادة، لا يرضى لهم أسباب الشقاء والعذاب، وإنما يرضى لهم أسباب الصلاح وأسباب الخير، مع أنه غني عنهم، لكنه يريد المصلحة لهم ويريد الخير لهم رحمة منه سبحانه وتعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ إذا نصح لا يقبل النصيحة، بل يتمادى في غيه ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ الكبر والتعظيم في نفسه، فلا يقبل النصيحة ويحتقر الناصح.

هذا شأن الأتقياء، أما أهل الخير فإنهم يفرحون بالنصيحة ويفرحون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال الله جل وعلا: ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ حسبه أي: كافيه النار - والعياذ بالله -، هذا مصيره ولبس المهاد: الفراش الذي يفرشه في النار، مهاده فراشه جهنم ولبس المهاد. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]. أي: يشتري نفسه بأي شيء؟ بالطاعة بالعمل

الصالح، يشتريها من العذاب ويبيع نفسه لله - عز وجل -، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ تَلَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: 111]. نزلت هذه الآية في صهيب رضي الله عنه، لما أراد الهجرة للمدينة، لحق به المشركون ليمنعوه من الهجرة، فهددهم بأنه يحسن الرماية، وأنه سيقتل منهم كل من قرب منه، ثم قال لهم: هذه أموالي وهذا بيتي خذوه واركبوني أذهب إلى رسول الله ﷺ فخرج من مكة ليس معه شيء، ترك ماله وترك منزله وترك كل ما يملك وشري به نفسه من الكفار. ليهاجر في سبيل الله - عز وجل -، فتركوه فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ وخرج ليس معه شيء إيماناً بالله وتوكلاً على الله ورغبة في الخير، هذا الفرق بين العباد، ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ هذا وعد كريم من الله - سبحانه وتعالى -؛ لأن من فعل ذلك فإن الله - سبحانه وتعالى - رؤوف به، وأنه لا يضيع عمله، وافتدائه واختياره لما عند الله على طمع الدنيا وأموال الدنيا.

نسأل الله - عز وجل - أن يوفقنا وإياكم لصالح القول والعمل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



٣٠- درس في تفسير قوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أيها الإخوة هذا اليوم هو اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة، وهو ثاني أيام التشريق ويسمى يوم النفر الأول واليوم الثالث عشر يسمى يوم النفر الثاني، وذلك لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. والنفر الأول معناه: أن الحاج إذا رمى الجمار بعد الظهر أو بعد العصر من هذا اليوم، فإنه إن شاء أن يرتحل من منى وينهي حجه فله ذلك، سواء أراد السفر أو أراد البقاء في مكة، لكنه إن أراد السفر فلا بد أن يطوف للوداع سبعة أشواط بالبيت قبل أن يسافر، وإن أراد البقاء فله ذلك، لكن إذا أراد أن يسافر ولو بعد فترة فلا بد أن يطوف للوداع ليكمل مناسك حجه، لأن طواف الوداع واجب من واجبات الحج، ونسك من مناسك الحج.

ويشترط للتعجل في هذا اليوم شرطان:

الشرط الأول: أن يرمي الجمار الثلاث بعد الظهر أو بعد العصر.

الشرط الثاني: أن يرحل من منى قبل أن تغرب الشمس، بمعنى: أنه يحمل متاعه من الأرض، يحمله على سيارته ويمشي قاصداً الخروج من منى حتى ولو أدركه غروب الشمس وهو يسير، بأن أمسكه السير ولم يخرج من منى إلا بعد غروب الشمس، فله ذلك لأنه ارتحل، وإمساك السير له بغير اختياره، أما إن غربت الشمس ولم يرحل ولم يحمل ما معه من متاع، فإنه يبقى فيبيت ليلة الثالثة عشرة

ويرمي الجمار في اليوم الثالث عشر بعد الظهر، أو بعد العصر ويكون هذا أفضل، لأنه استكمل الأيام بالمبيت بمنى، والبقاء فيها والصلوات فيها ورمي الجمار كاملة في الأيام الثلاثة، وهذا هو الذي فعله النبي ﷺ لكن لا يؤخر الرمي إلى ما بعد الغروب؛ لأنه بغروب الشمس يوم الثالث عشر ينتهي الحج، فلا يؤخر الرمي عن غروب الشمس كما في الأيام التي قبله.

ثم أيها الإخوة تذكروا قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ والتقوى معناها: أن تجعل وقاية بينك وبين عذاب الله، وهذه الوقاية بطاعة الله وترك ما نهى الله عنه، هذه هي الوقاية التي تقيك من عذاب الله، العمل بطاعة الله وترك معصية الله، لا يقيك من النار إلا هذا، وهذه وصية من الله لك في أي مكان كنت، ليس في مكة فقط، بل في أي مكان كنت، ما دمت حياً، قال النبي ﷺ: «اتق الله حيثما كنت»^(١)، فلا يقول الإنسان مادمت في مكة فأنا اتقي الله، وإذا خرجت من مكة انتهى العمل وفسح لي، لا يا أخي التقوى تلازم المؤمن إلى أن يموت، وهو يتقي الله بفعل أوامره وترك نواهيه في أي مكان.

ثم قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا﴾ أي: تيقنوا أنكم إليه تحشرون أي تجمعون يوم القيامة، فاستعدوا لذلك، ولعل المناسبة في ختام آيات الحج بهذه الآية أن الحج فيه اجتماع عظيم وزحام شديد فهو يذكر بالحشر يوم القيامة، الحشر الذي يجمع الخلائق من أول الخلق إلى آخرهم في مكان واحد، فتذكر بهذا الاجتماع وهذا الحشر في مكة في مشاعر الحج الحشر الأكبر، حشر الخلائق جميعاً في صعيد واحد يوم القيامة، الأولين والآخرين ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾ ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ ﴿ذَاقُوا ۝٤٩-٥٠﴾ فإذا كنت رأيت هذا الاجتماع العظيم، وهذا الضيق وهذه الزحومات، وقاسيت فيها شيئاً من التعب، فتذكر الحشر الأكبر

(١) أخرجه الترمذي برقم (١٩٨٧)، وأحمد برقم (٢١٣٥٤، ٢١٤٠٣، ٢١٥٣٦)، والحاكم (١/٥٤)، والدارمي (٢/٣٢٣).

الذي فيه زحام شديد وحر شديد وضيق شديد، فاستعد لذلك بتقوى الله - عز وجل -، اجعل شعارك تقوى الله دائماً وأبداً والخوف من الله ورجاء الله، مع العمل بالطاعة وترك المعصية، والمحافظة على فرائض الله، وإصلاح العقيدة، وإخلاءها وتنقيتها من الشرك الأكبر والصغر، وإصلاح العمل بتنقيته من البدع والمحدثات، فإنك مهما عملت من عمل ومهما تعبت، مادام أنك لم تخلص لله فلن يقبل منك، مادام عندك شيء من الشرك الأكبر فلن يقبل منك شيء، ولو أخلصت ولم تتبع الرسول ﷺ بل عملت بالبدع والمحدثات فلن يقبل منك أيضاً، قال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين»، يعني: الزموها ثم قال: «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»^(٢)، أنت لا تعب نفسك في شيء لا تنتفع به يوم القيامة، البدعة لا تنتفع بها بل تتضرر بها يوم القيامة، والعمل على السنة ولو كان قليلاً فإن الله يضاعفه ويتقبله ويدخلك به الجنة، والعمل وإن كان كثيراً إذا كان على غير سنة الرسول ﷺ فهو هباء منثور، مردود عليك فتذكر هذا ولا تقل الناس على هذا أو أهل البلد على هذا، هذا لا ينفعك، إذا كنت تعلم أن الناس على خطأ، اجتنب خطأهم، وإذا كانوا على حق فاتبع الحق ولو كان الذي عليه قليلين، أو حتى ولم لم يكن عليه أحد، مادام هو الحق فالزم الحق ولا تأخذك في الله لومة لائم، تقول: أخاف الناس يذمونني، خف من الله - عز وجل -، لا تخف من الناس، وإن نالك أذى من الناس بسبب تمسكك بكتاب الله وسنة رسوله وترك البدع، إذا نالك أذى فاصبر على الحق، السلف الصالح يقولون: اقتصاد في سنة خير من اجتهد في بدعة. اقتصاد يعني: عمل يسير خير من اجتهد كثير في بدعة، فعليك بلزوم السنة

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨) ١٨*).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٤٦٠٧)، والترمذي برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه برقم (٤٢)، وأحمد برقم (١٧١٤٤)، والطبراني في الكبير (٢٤٥/١٨، ٢٤٦) برقم (٦١٧، ٦١٨)، والحاكم (٩٦/١)، والبيهقي (١١٤/١٠).

ولا تعمل أي عمل حتى تعلم أنه سنة وأن عليه دليلاً من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ إذا كنت تريد النجاة لنفسك وأنت كذلك إن شاء الله.

ارجعوا من الحج على أحسن حال، ارجعوا تائبين إلى الله - عز وجل - محافظين على الصلوات، محافظين على طاعة الله - عز وجل -، يكون الحج سبباً في رجوعكم إلى الله وتوبتكم إلى الله، وختم أعمالكم وأعماركم على طاعة الله، يكون الحج سبباً لاستقامتكم، ولا تظن كما يظن كثير من الناس أن الحج يكفي ويكفر كل ما تعمل، لا، الحج إنما هو شيء واحد من أمور الدين، وهناك أشياء كثيرة أعظم من الحج.

الصلاة أعظم من الحج، حافظ عليها مادمت حياً، قال عيسى عليه السلام ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]. وقال الله - عز وجل - لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]. واليقين هو: الموت، أي لازم العبادة إلى الموت، ولهذا قال بعض السلف: ليس لعمل المسلم غاية دون الموت، ليس له نهاية إلا الموت.

النبي ﷺ يقول: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»^(١)، فعمل المسلم لا ينقطع إلا بالموت ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ تَحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩]. يحافظون عليها لا يصلي أياماً ويترك أياماً، أو يصلي وقت الحج ويترك الصلاة بعد الحج، هذا ضياع. الحج إنما هو نوع واحد من الأعمال وقبله أعمال أكد منه التوحيد وهو إخلاص العبادة لله، اتباع الرسول ﷺ، المحافظة على الصلاة، إيتاء الزكاة، صوم رمضان، هذا كله أكد من الحج، فلا بد أن تحافظ على أركان الإسلام الخمسة، لا بد من هذا مع أركان الإيمان الستة: تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره، تحافظ على أركان

(١) أخرجه مسلم برقم (١٦٣١).

الإسلام الظاهرة وعلى أركان الإيمان الباطنة، لا بد أن تجتمع عندك الأركان كلها أركان الإسلام وأركان الإيمان، وأعلى من ذلك إذا زاد يقينك وإيمانك بالله، وهذا هو الإحسان فتعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والإحسان معناه: الإلتقان، إلتقان الشيء وإتمامه فإذا أتقنت دينك فقد أحسنت، وإذا أخللت بشيء من دينك فقد أسأت، والإساءة ضد الإحسان، والإحسان يكون بينك وبين الله بعبادته وحده لا شريك له ومراقبته، ويكون الإحسان بينك وبين الناس بأن تعمل المعروف وتبذل النفع للناس وتكف عنهم أذاك، هذا إحسان إلى الناس ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. وإحسانك بينك وبين نفسك بأن تمنعها من معصية الله وتلزمها بطاعة الله، هذا إحسان إلى نفسك أنت لا تحسن للناس وتترك نفسك، أحسن إلى نفسك ثم أحسن إلى الناس، وليس الإحسان إلى نفسك أنك تعطيهما ما تشتهي؛ لأن هذا ضرر، الإحسان إلى نفسك أن تلزمها بطاعة الله، وأن تمنعها من معصية الله - عز وجل -.

فعلينا جميعاً يا عباد الله، أن نرجع تائبين إلى الله، محافظين على ديننا، حتى يقبل الله حجنا وعملنا، وألا تعتبر أيها الحاج أن الحج يكفي وتترك الصلاة، وتترك الزكاة، وتترك الصيام، ويقال: الحج يكفي، الحج إذا تركت الصلاة بطل. انتبه لهذا، وأشد من ذلك إذا حصل منك شرك بالله - عز وجل -، بطلت جميع الأعمال، فعليك بالمحافظة على دينك، والاستمرار على طاعة الله - عز وجل -، لتجمع مع حجك أعمالاً أخرى من الصالحات حتى تحصل النجاة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [١٦] والتقوى كلمة عامة تشمل جميع أمور الدين، حافظ عليها وتجنب ما حرم الله عليك، واسأل الله حسن الخاتمة، أن يختم الله لك بالإيمان ويتوفاك على الإيمان والإسلام، قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. والأعمال بالخواتيم، وأنت لا تدري متى الموت؟ لا تدري

ففي أي ساعة؟ فلتكن على عمل صالح، إذا جاءك الموت وإذا أنت على عمل صالح، تكون خاتمتك حسنة، وأما إذا جاءك الموت وأنت على المعاصي وأنت على الذنوب صارت خاتمتك سيئة والأعمال بالخواتيم، وأنت لا تدري متى يختم لك الموت؟ لا تدري متى ينزل؟ غَيَّبَ اللهُ الموتَ عن بني آدم فلا يدري متى، لأجل ألا يفرط؛ لأنه لو درى الإنسان متى يموت بعد مئة سنة، بعد عشرين سنة، ربما يعطي نفسه الأمانى ويتكاسل عن الطاعات، ويقول: معي فرصة إذا لم يبق للموت إلا أيام قليلة اجتهدت وتكون الخاتمة طيبة، من حكمة الله أنه أخفى عنك الموت، حتى تكون دائماً تتوقع الموت، تكون دائماً متخلصاً من الذنوب والمظالم، على استعداد متى جاءك الموت ليلاً أو نهاراً، مثل المسافر إذا أراد أن يسافر إلى بلد يجمع متاعه ويهيئ راحلته ومركوبه ويتهيأ للسفر.

الموت سفر، سفر إلى الآخرة، سفر لا رجوع منه، أما أسفار الدنيا فإنها يمكن أن ترجع ويمكن ألا ترجع، لكن الموت لا ترجع، أكيد أنك لا ترجع، أين تذهب؟ تذهب إلى الحساب، إما إلى جنة وإما إلى نار، وما الذي يؤمنك من هذا؟ ليس عندك من الله ضمان أنك من أهل الجنة، إلا إن اتقيت الله - عز وجل - وعملت بطاعته، فساله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، لا يضيع أجر المحسنين، وليس عندك ضمان أنك من أهل الجنة، ألا تخاف أن تكون من أهل النار؟ عليك أن تحتاط لنفسك، تأخذ نفسك بالعزم ضد الكسل والتساهل وخذها بالعزم، نعم لا تكلف نفسك بما لا تطيق أو تشق عليها، ولكن لاتتساهل كن متوسطاً، خير الأمور أوسطها، هذا هو المطلوب توسط واعتدال على الطاعة من غير تشدد ومن غير تساهل مع المداومة على طاعة الله - سبحانه وتعالى -، حتى إذا جاءك الموت إذا أنت على عمل صالح، على استقامة.

وفق الله الجميع لصالح القول والعمل، نسأله - سبحانه - أن ينصر الإسلام والمسلمين وأن يذل الشرك والمشركين وأن يخذل أعداء الدين، اللهم من أراد الإسلام

والمسلمين بسوء فأشغله في نفسه ورد كيده في نحره واجعل تدميره في تدبيره إنك على كل شيء قدير، اللهم كف بأس الذين كفروا فأنت أشد بأساً وأشد تنكيلاً، اللهم اجعل كيدهم في نحورهم واكفنا شرورهم، اللهم ارزقنا العمل بطاعتك واجتناب معصيتك واختم لنا بخير يا رب العالمين، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

